الـــفـــصـــل الـــثـــالـــث

الرؤية الإسلامية فى تفسير التاريخ

التفسير الإسلامى للتاريخ.

ابن خلدون وتفسير التاريخ.

المؤرخ المسلم.

الشروط الواجب توفرها فى المؤرخ.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

الرؤية الإسلامية في تفسير التاريخ

التفسير الإسلامي للتاريخ:

فالمؤرخون المسلمون التاريخ، وادلي الفقهاء والعلماء والمفسرون والمحدثون بدلوهم في هذه القضية، محاولين توضيح الرؤية الإسلامية لهذا العلم.

إن علماء المسلمين وخلال دراساتهم المتخصصه والموسوعية قد وضعوا تفسيرات عدة لمعني التاريخ ومفهومه، كما وضعوا الأسس التي تميز هذا العلم وتحدد منهجيته، كما عرفوا المؤرخ وبينوا دوره في تسجيل الأحداث.

يقول خليفة بن خياط: وبالتاريخ يضبط للناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نسائهم ومحل ديونهم.(١)

وهنا يري خليفة بن خياط أن التاريخ يضبط للناس أمور حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

ويضيف ابن خياط: «لم يزل للناس تاريخ، فكانوا يؤرخون في الدهر الأول من هبوط آدم من الجنة، فلم يزل حتي بعث الله نوحا، فأرخوا من دعاء نوح قومه فلم يزل حتي حُرِّق ابراهيم فأرخوا من تحريق ابراهيم وأرخت بنو إسماعيل ببناء الكعبة». (٢)

يري ابن خياط إذن أنه لا بد للأمم من تاريخ، وأن هذا التاريخ سجل لأحداث حياتهم، وأنه يبدأ بهبوط آدم من الجنة.

وتظهر دقة الإنسان في تسجيله للأحداث الهامة ذات التأثير الواضح في حياة

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري - دار القلم - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٧، ص ٤٩.

(٢) نفس المصدر: ص ٥٠.

المجتمع كما تظهر أيضاً الحاسة التاريخية عنده ضبطا لاحوال الناس.

ثم ينتقل إلي مرحلة أخري فيقول: ولم يزل لفارس تاريخ يعرفون به أمورهم وتاريخ حسابهم إلي هذا اليوم من ملك يزدجرد بن شهريار وذلك في سنة ست عشرة من هجرة رسول الله ﷺ وهو تاريخ الناس اليوم.(١)

لم تنقطع إذن رؤية المؤرخ المسلم للتاريخ، فهو ملم بالأحداث يتفاعل معها، ويسجل لنا ما يدور حوله من تغييرات سياسية واقتصادية، كما حدث في تسجيل أحداث فارس ودور التاريخ بالنسبة لهم فهم يعرفون به أمورهم وينظمون به مواقيتهم وحساباتهم.

وفي الجزيرة العربية كانت بنو اسماعيل يؤرخون ببنيان الكعبة فلم يزل ذلك حتي مات كعب بن لؤي فأرخوا من عام الفيل، ثم أرخ المسلمون بعد ذلك من مهاجر رسول الله ﷺ. (٢)

وعلي الرغم من اهتمام المؤرخين المسلمين بالتاريخ وتدوينه وتفسيره إلا أن بعضهم رأي أنه مجرد تسجيل للأحداث يعتبر بها بنو البشر، كما ذهب البعض الآخر إلي القول بأن التاريخ لا غني عنه للملوك والحكام حتي يتعلموا منه تجارب الأمم الماضية ويستفيدوا من حكم السابقين.

وكانت أهم التفسيرات التي أجمع عليها كثير من المؤرخين المسلمين هي ربط التاريخ بأمور الدين بمعني أنه بالتاريخ يعرف الناس مواقيتهم الخاصة بالحج والصوم، وغير ذلك ومن هنا كان اهتمام العامة والخاصة به، وكان اشتغال العلماء والفقهاء والكتاب والمحدثين بهذا العلم الجليل.

وقد اجتهد المؤرخون المسلمون في التعبير عن رؤيتهم للتاريخ فمنهم أصاب كما يري الطبري أو جانبه الصواب كما يري المسعودي.

أما الطبري فيقول: قال جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿**وجعلنا الليل والنهار**

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ: ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٠

آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا» ليصلوا بذلك إلي العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين من الصلوات والزكوات والحج وغير ذلك من فروضهم وحين حل ديونهم وحقوقهم.(١)

واما المؤرخ الرحالة أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر فيقول: وقد الف الناس كتبا في التاريخ ممن سلف وخلف، فأصاب البعض وأخطأ البعض الآخر، وكل قد اجتهد بغاية إمكانه، وأظهر مكنون فطنته: كوهب بن منبه، وابي مخنف لوط يحيى العامري، ومحمد بن اسحق، والواقدي، وابن الكلبي، وأبي عبيد معمر بن المثني، وأبي العباس الهمداني، والهيثم بن عدي الطائي، والشرقي بن القطامي، وحماد الرواية، والأصمعي، وسهل بن هارون، وعبد الله بن المقفع، واليزيدي، ومحمد بن عبد الله العتبي، والأموي، وأبي يزيد سعيد بن أوس الأنصاري، والنضر بن شميل، وعبد الله بن عائشة، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وعلي بن محمد المدائني، ورماذ بن رفيع بن سلمة، ومحمد بن سلام الجمحي، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبي يزيد عمر بن شبة النميري، والزرقي الأنصاري، وأبي السائب المخزومي، وعلي بن محمد بن سليمان النوفلي، والزبير بن بكار، والإنجيلي، والرياش، وابن عايد، وعمارة بن وسيمة المصري، وعيسي بن لهيعة، وعبد الرحمن عبد الله بن الحكم المصري، وأبي حسان الزيادي، ومحمد بن موسي الخوارزمي، وأبي جعفر محمد بن أبي السري، ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني صاحب كتاب الدولة، واسحق بن ابراهيم الموصلي صاحب كتاب الأغاني وغيره من الكتب، والخليل بن الهيثم الهرثمي صاحب كتاب الحيل والمكايد في الحروب وغيره، ومحمد بن يزيد المبرد الأزدي، ومحمد بن سليمان المنقري الجوهري، ومحمد بن زكريا الغلابي المصري المصنف المترجم بكتاب الأجواد وابن أبي الدنيا مؤدب المكتفي بالله وأحمد بن محمد الخزاعي المعروف بالخاقاني

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ١ ص ٤

والأنطاكي، وعبد الله بن محمد بن محفوظ البلوي صاحب أبي يزيد عمارة ابن يزيد المديني، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان، وأحمد ابن أبي طاهر صاحب الكتاب المعروف بأخبار بغداد وغيره، وابن الوشاء، وعلي ابن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين وغيره، ومحمد بن صالح النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره، ويوسف بن إبراهيم صاحب أخبار إبراهيم بن المهدي وغيرها، ومحمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك للفتح بن خاقان وغيره، ،وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب، وعبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة، ومن كتبه النفيسة في المسالك والممالك وكتاب التاريخ من المولد إلي الوفاة، ومن كان بعد النبي ﷺ من الخلفاء والملوك إلي خلافة المعتضد بالله، وما كان من الأحداث والكوائن في أيامهم وأخبارهم، تأليف محمد بن علي الحسيني الدينوري، وكتاب التاريخ لأحمد بن يحيي البلاذري، وكتابه أيضاً في البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبي ﷺ وما فتح في أيامة وعلي يد الخلفاء بعده، وما كان من الأخبار في ذلك، ووصف البلدان في الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه، وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم وهو جد الوزير علي بن عيسي بن داود الجراح، وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن أخت عيسي بن فرخان شاه بلغ في تصنيفه إلي سنة عشرين وثلثمائة، وتاريخ أبي عيسي المنجم علي ما أثبات به التواره، وغير ذلك من أخبار الأنبياء والملوك وكتاب التاريخ، وأخبار الأمويين ومناقبهم، وذكر فضائلهم، وما أتوا به عن غيرهم، وما أحدثوه من السير في أيامهم تأليف أبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي، وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ، والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف بن وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الأخبار، وكتاب السير والأخبار لمحمد بن خالد الهاشمي، وكتاب التاريخ لأبي بكر بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره، فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوي فممن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته، وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي علي المولفات، والزائد علي الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الأخباروحوي فنون الآثار واشتمل علي صنوف العلم، وهو كتاب تكثر

فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون ذلك؟! ومؤلفه فقيه عصره، وناسك دهرة إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار وحملة الآثار (١).

وبعد سرد طويل لعديد من المؤلفات والمؤلفين يقول المسعودي: ولم نذكر من كتب التواريخ والأخبار والسير والآثار إلا ما اشتهر مصنفوها، وعرف مؤلفوها، ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم، إذ كان ذلك أكثر من أن نأتي علي ذكره في هذا الكتاب إذ كنا قد أتينا علي جميع تسمية أهل الأعصار من حملة الآثار ونقلة السير والأخبار، وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة، ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر علي اختلاف أنواعهم وتنازعهم في آرائهم من فقهاء الأمصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل إلي سنة اثنتن وثلاثين وثلثمائةفي كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط.

أما مروج لذهب ومعادن الجوهر فقد وصفه صاحبه بأنه كتاب يتفوق علي غيره من مؤلفاته حيث جعله تحفة للأشراف من الملوك وأهل الدرايات، لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة إليه وتنازع النفوس إلي علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان وجعلته منبهاً علي ما سلف من كتبنا، ومشتملاً علي جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها، ولا يعذر في التغافل عنها، ولم نترك نوعاً من العلوم، ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً، أو ذكرناه مجملا، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات، أو يوصي إليه بفحوي من العبارات، فمن حرف شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه، أو طمس واضحة من معالمه، أو لبس شاهدة من تراجمه أو بدله أو أشأنه أو اختصره أو نسبه إلي غيرنا أو أضافه إلي سوانا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره، ويحار له فكره وجعله الله مثله للعالمين، وعبرة

---

(١) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣، ص ص ١٢ ١٧

للمعتبرين، وآية للمتوسمين، وسلبه الله ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والأرض، من أي الملل كان والآراء إنه علي كل شئ قدير.(١)

ابن خلدون وتفسير التاريخ:

يري ابن خلدون في مقدمته: أن التاريخ فن من الفنون الذي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلي معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال وتتساوي في فهمه العلماء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد علي إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول. (٢)

ثم يضيف: في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ،فهو لذلك أصيل في الحكم عريق. (٣)

ويستطرد ابن خلدون فيقول: وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها.

ومن هؤلاء يذكر ابن خلدون ابن اسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الأسدي ويشير إلي أن هناك بعض المغمز والملمز علي كتابات كل من الواقدي والمسعودي مما هو معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة علي الثبات.

وينتقد ابن خلدون كتابات المؤرخين المسلمين فيقول: إن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك وذكر من بينهم المسعودي أو من استوعب أخبار قطره

---

(١) المسعودي : مروج الذهب حـ١ ص ص ١٧ : ١٨

(٢) ابن خلدون : المقدمة - ص ٢.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

واقتصر علي تاريخ دولته ومصره، ودلل علي هذا النوع من المؤرخين وهذا النموذج من الكتابة التاريخية بمؤرخ الأندلس ابن حيان وابن الرفيق مؤرخ افريقية ثم جاء بعد ذلك عدد من المقلدين الناقلين.

ويوضح ابن خلدون أسباب ذلك فيقول: إن هذا الصنف من المؤرخين إنما يتبعون من قبلهم من أجيال المؤرخين المحققين المدققين فهم ينقلون نقلاً محافظين علي نقلها وهماً أو صدقاً لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها وأظهر من آيتها ولاعلة الوقوف عند غايتها فيبقي الناظر متطلعا بعد إلي افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها.

وجاء جيل من المؤرخين بعد ذلك ممن اختصر تلك الأعمال اختصاراً مخلاً مثلما ذكر ابن خلدون ثم جاء آخرون بافراط الاختصار وذهبوا إلي الإكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الأنساب والأخبار ومن هؤلاء ابن رشيق في ميزان العمل، واعتبر ابن خلدون هذا الجيل من المؤرخين قد أخل بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد. (١)

ويعترض ابن خلدون علي النقل فيقول: لأن الأخبار إذا اعتمد فيها علي مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا ينشي الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيدة عن جادة الصدق.

ومقدمة ابن خلدون تمدنا بمادة علمية قيمة ذكر فيها فضل علم التاريخ وأهم من ذلك تحقيق مذاهبه مع الإلماع بمغالط المؤرخين. (٢)

ثم يوضح ابن خلدون خلاصة ما ذهب إليه في رؤيته للتاريخ ومناهج المؤرخين المسلمين فيقول: إن التاريخ هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل، فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أس المؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين بها أخباره. (٣)

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ص ٤: ٥

(٢) انظر نفس المصدر، ص ٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٢

ومن ثم وضع المنهج الذي ارتآه سليماً ،وأميناً لنقل الأخبار. وذلك المنهج استخلصناه من مقدمته التي وضعها لكتابه العبر وفيه حدد الخطوات التي يجب علي المؤرخ اتباعها في توثيق الاخبار والتحقق من صحتها.

١ـ لا بد من عرضها علي الأصل.

٢ - وقياسها بأشباهها.

٣ ـ سبرها بمعيار الحكمة.

٤ - تحكيم النظر والبصيرة في الأخبار.

٥ ـ تحري الدقة في إحصاء الأعداد والأموال والعساكر.

٦ ـ تأمل الأخبار وعرضها علي القوانين الصحيحة حتي يقع للمؤرخ تمحيصها بأحسن وجه.

ويقول العز الكناني: لا شك في جلالة علم التاريخ وعظم موقعه من الدين وشدة الحاجة الشرعية إليه لأن الأحكام الانتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من مكارم الهادي من الصلات والمبصر من العمي والجهالة، والنقلة هم الواسطة بينا وبينه فوجب البحث عنهم والفحص عن أحوالهم وهذا مجمع عليه والعلم المتكفل بذلك هو علم التاريخ ولهذا قيل أنه من فروض الكفاية.(١)

ونحن نحاول في هذه الدراسة أن نقف علي مناهج المؤرخين المسلمين ومن ثم نتعرف علي رآهم للتاريخ وتفسيرهم له ففي كل قرن من قرون التاريخ الإسلامي يظهر لنا مؤرخ يضع منهجا يختلف فيه عمن سبقه أو يتفق .

ففي القرن السابع الهجري نري ابن خلكان يضع كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، وعلي الرغم من أن هذا الكتاب يعد من أهم كتب التراجم إلا أن صاحبه يقول في مقدمته: (هذا كتاب مختصر في التاريخ، دعانا إلي جمعه أني كنت مولعاً بالإطلاع علي أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم ومواليدهم، ومن جمع منهم في كل عصر فوقع لي منه شئ حملني علي كثرة

---

(١) السخاوي : الإعلان ،ص ٥٥.

الاستزادة وكثرة التتبع فعمدت إلي مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن، وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم أجده في كتاب، ولم أزل حتي حصل عندي مسودات كثيرة في سنين عديدة، وغلق علي خاطري بعضه فصرت إذا احتجت إلي معاودة شئ منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في استخراجه لكونه غير مرتب فاضطررت إلي ترتيبه). (١).

وهكذا يتضح المنهج الذي سار عليه ابن خلكان في تصنيف مؤلفه في التاريخ وهو يوضح لنا طريقة ترتيب الأعلام علي حروف المعجم كما يبين لنا أنه سوف لا يتعرض لبعضها وذلك لأفراد كتب خاصة بهم مثل طبقات الصحابة رضوان الله عليهم فهو لا يذكر منهم إلا ما دعت الضرورة إلي ذكره.

كذلك يروي لنا ابن خلكان نوع المعلومات التي يتضمنها كتابه فهو يذكر مولد ومتوفي من يؤرخ له ويذكر شيمه وأخلاقه وصفاته وأعماله.

ويري المقريزي أن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً لما يحويه من المواعظ، والانذار بالرحيل إلي الدار الآخرة عن هذه الدار، والاطلاع علي مكارم الأخلاق ليقتدي بها واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولوا النهي .(٢).

ويضع المقريزي منهجاً عاماً ضمنه مقدمة كتابه، وهذا المنهج لا بد في راية لكل مؤلف من التزامه، وهذا ما سماه بالرءوس الثمانية قال:

أعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرءوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهي:

١ ـ الغرض.

٢ - العنوان.

٣ - المنفعة.

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج ١، ص ص١٩، ٢٠

(٢) المقريزي. الخطط . جـ١، ص١.

٤ - المرتبة.

٥ - صحة الكتاب.

٦ - من أي صناعة هو أي نوعه.

٧ - عدد أجزائه.

٨ - أسماء التعاليم المستعملة فيه.

وقد طبق هذا علي نفسه في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ووضع كل رأس من تلك الرءوس في متن كتابه فنراه يقول: سميته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وأما منفعتة هذا الكتاب فإن الأمر يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه أعني أي منفعته هي أن يشرف في زمن قصير علي ما كان في أرض مصر من الحوادث والتغيرات، وأما مرتبة هذا الكتاب فهي من جملة أحد قسمي العلم اللذين هما العقلي والنقلي.

وأما من أي علم هذا الكتاب فهو من علم الأخبار وبها عرفت شرائع الله وحفظت سنن أنبيائة ورسله ودون هداهم الذي يقتدي به من وفقه الله تعالي إلي عبادته وهداه إلي طاعته وحفظه من مخالفته.

وبها نقلت أخبار الملوك والفراعنه وكيف حل بهم سخط الله تعالي لما أتوا ما نهي عنه وبها اقتدر الخليقة من أبناء البشر علي معرفة ما دونوه من العلوم والصنائع وتأتي لهم ما غاب عنهم من الأقطار الشاسعة والأمصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله.(١)

وعن المنهج الخاص الذي اتبعه المقريزي فهو كما يقول:

١ - النقل من الكتب المصنفة في العلوم.

٢ ـ الرواية عمن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس.

---

(١) المقريزي: المصدر السابق: جـ١، ص ٤.

٣ - المشاهدة لما عانيته ورأيته.

والشمس السخاوي ممن أفردوا كتاباً خاصاً عن التاريخ وهو الكتاب المسمي بالإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ وقفنا علي فقرات منه في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وهو نفس الكتاب الذي استخدمه فرانز روزنتال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين كاملا.(١)

ولم يقتصر الشمس السخاوي علي ذلك بل تحدث في كتابه التبر المسبوك عن التاريخ فقال:

فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي، وزين تقر به العيون حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي بل وقعه من الدين عظيم ونفعه متين في الشرع بل جعله من فروض الكفايات.

ويروي لنا السخاوي بداية التاريخ الهجري ويأتي علي رواية ابن الأثير من حيث مبدأ التاريخ الهجري وأن عمر الفاروق رضي الله عنه هو الذي قال: ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم مضبوطة به فيما يتعاطونه من معاملاتهم. واتفقوا علي أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لدن هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة.

واشترط السخاوي أنه يجب أن يتوفر في المؤرخ ما يتوفر في راوي الحديث من العدالة والضبط المضبوط كل منهما بشروط ليكون معتمداً في أمر الدين.

ويذكر عن أحد شيوخه أن الذي يتصدي لضبط الوقائع يلزمه عدة أمور من أهمها التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه ولا يكتفي بالقول الشائع ولا سيما إن ترتب علي ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد أهل العلم والصلاح.

كما يحتاج المؤرخ أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع

---

(٢) روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة صالح العلي. الطبعة الثانية. مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٣ ص ص ٣١٧ - ٣٨٠

الوضيع ولا يضع الرفيع.[1]

ويري بعض المؤرخين المسلمين أن علم التاريخ يساند علوما أخر كالسياسة وهي العلم الذي يتعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات الفاضلة والمردية، وتوابع ذلك كعلم الأخلاق الذي يعلم منه أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها، وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها.

ويقول العز بن جماعة: يجب أن نفرق بين علم التاريخ وعلم الطبقات، ومعرفة الفرق بين موضوعيهما وغايتهما، ويضيف: والحق عندي أنهما بحسب الذات يرجعان الي شئ واحد وبحسب الاعتبار بتحقق ما بينهما من التغاير، فيجتمع علم التاريخ وعلم الطبقات في التعريف بالرواه، وينفرد التاريخ بالحوادث والطبقات.

ويؤكد ابن حزم في كتابه مراتب العلوم: العلوم القائمة اليوم سبعة أقسام عند كل أمة وفي كل مكان وزمان، أهمها علم الشريعة وعلم أخبارها يعني المتضمن لفن التاريخ.

وهكذا نري أن الرؤية الإسلامية في تفسير التاريخ قد اتضحت خلال المناهج التي وضعها المؤرخون المسلمون، وكلها تتفق علي أن المؤرخ هو المثبت للحقائق والوقائع والأحوال التي تقع في عصره فهو يراها ويعايشها ويسجلها ويحللها ويناقشها وفق شروط وقوانين محددة استقاها من الواقع الإسلامي والحياة الإسلامية، وأهم من ذلك كله استقاها في بداية الأمر من منهاج المحدث المسلم الذي ربط نفسة بمنهج قاس من التدقيق والتحري والبحث وصولاً إلي أسلم طريق لتسجيل أحاديث رسول الله ﷺ.

المؤرخ المسلم:

إن وقفة أمام التراث التاريخي الضخم الذي خلفه لنا المؤرخون المسلمون

---

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. ص٤.

علي اختلاف أنماط كتاباتهم تحتم علينا أن نتساءل عن المؤرخ المسلم ومكانته في المجتمع، وكيف كان يواثم حياته في خضم الحياة السياسية التي كان يعاصرها.

إن كثيراً من المؤرخين المسلمين وقفوا حياتهم وكرسوا جهودهم لكتابة التاريخ وقضوا سنوات حياتهم عاكفين علي العلم والدرس والكتابة والإملاء مما يرجح أن العصور التاريخية المختلفة شهدت مؤرخين محترفين كان عملهم الأساسي هوكتابة التاريخ، لكننا يجب أن نقرر أن العمل بكتابة التاريخ في تلك العصور لم يكن يعتبر من الأعمال التي يمكن أن تكفل لصاحبها مستوي من المعيشة بما يحصل عليه من كتابته للتاريخ ومن ثم نجد أن عدداً لا بأس به من المؤرخين كانوايعملون في المناصب الحكومية وخدمة الخلفاء، وتألقوا في شئون الحكم والسياسة ومن ثم ظهرت طبقة من هؤلاء يمكن أن نطلق عليهم اصطلاح مؤرخي البلاط أو مؤرخي الدولة.

وفي هذا السياق يقول فرانز روزنتال Franz Rosenthal : إن التاريخ من حيث العموم ونظراً لمكانته في التربية الإسلامية لم يكن علماً يمكن أن يجني منه صاحبه الرزق والقوت ومن هنا مارس معظمهم الكتابة التاريخية بجانب عمله الرسمي، وهنا يلح السؤال القائل: هل كتب تاريخ المسلمين مؤرخو الدوله؟

وللإجابة علي هذا التساؤل وانطلاقاً من محاولة لتحديد الأبعاد الفكرية والثقافية بالإضافة إلي التجارب العلمية للمؤرخ المسلم نقول:

لقد وضع أسس الكتابة التاريخية مؤرخون علماء لم يكن لهم هم ولا شاغل سوي العلم والكتابة والتدوين والتسجيل لأحداث عصرهم، وقد كان هؤلاء أصلا هم المفسرون لكتاب الله عز وجل، والمحدثون بأحاديث رسول الله ﷺ، ثم أضافوا إلي عملهم كتابة التاريخ، وأخبرونا بأهدافهم من ذلك، وتحدثوا عن فوائد مثل ذلك العمل في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة.

ولهذا نجد أنفسنا مطمئنين إلي ما كتب المؤرخون المسلمون الأول خاصة من كتب المغازي وأخبار الجهاد، وهذا الصنف من المؤرخين ظل يعمل عن كثب خلال

العصور التاريخية المختلفة، إلا أننا نجد من بين هؤلاء من استطاع أن يكسب ثقة الحاكم أو الأمير أو الخليفة أو الوالي لورعه أو لرجاحة عقله أو لحكمته أو لخبرته الطويلة فكان أن ولوهم بعض المناصب الإدارية أو القضائية أو السياسية، فالمؤرخون المحترفون كانوا نادرين وقد سد معظم المؤرخين حاجاتهم المادية من الاشتغال بعلوم اللغة والأنساب والمناصب الحكومية ومختلف فروع العلوم الدينية.(١)

لقد ظهر في العصر العباسي من المؤرخين من كانوا رجالاً في الدولة لهم مكانتهم ودورهم في بلاط الخليفة ويؤكد ذلك ما يرويه البلاذري باعتباره من رجال البلاط العباسي وشهود العيان لحكم الخليفة العباسي المتوكل فقد كان نديماً له، وقام بالإضافة إلي ذلك بتدوين التاريخ لتلك الفترة، ولم يقتصر شغل هذه الوظيفة علي البلاذري، وإنما كانت من الوظائف الثابتة في الدولة العباسية، لكن المهم في ذلك أن هؤلاء قد مارسوا التدوين والكتابة بل والتأريخ أيضاً.

والسؤال المنطقي هنا هو هل كان المؤرخون المسلمون موظفين في الدولة مهنتهم الكتابة؟ أم أنهم شغلوا مَناصب حكومية إدارية أو سياسيةكالقضاء أو الحسبة او قيادة الجيوش أو الوزاره إلي غير ذلك ثم مارس التدوين وهذا علي أية حال لا يقدح في أمانتهم، ولا يقلل من قيمة ما قدموا لنا من كتب في تاريخ الأمة والدولة والسياسة والنظم والإدارة والأموال وغير ذلك.

بل إننا نستطيع أن نقرر أن ثمة فائدة عظمي في تدوين هؤلاء لتاريخ الاسلام والمسلمين ذلك أنهم قد اطلعوا خلال عملهم علي كثير من الأوراق الرسمية والوثائق والمعاهدات، وأحوال الناس ومشكلاتهم مما يجعل لهذه الكتابات قيمة تاريخية عظيمة إذ اعتمد أصحابها علي مصادر أوليه وأصول صحيحة لكثير مما كتبوا.

لكننا نعود فنقول لما كان المؤخ بشراً ككل البشر، له ميوله وأهواؤه وأهدافه

---

(١) روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ترجمة صالح العلى ، ص ٧٨.

فقد تأثر بعض المؤرخين بتلك الميول والأهواء مما ظهر في كتاباتهم، وهذا لا يغيب عن الباحث المدقق والمؤرخ الخبير الذي يمكنه أن يميز بين الزيف والحقيقة، ويمكنه أن يرجع الرأي المنطقي أو ذلك المبني علي الهوي والغرض ومع ذلك، ومهما يكن أمر تلك الكتابات فهي في واقع الأمر تقدم نوعاً من الكتابة التاريخية أو السياسية التي لا يخلو منها عصر من العصور.

ويري رورنتال: إن تأليف الكتب التاريخية كان من واجب الشخصيات السياسية الكبري. ومعني ذلك أن هناك من رجال الدولة من كان واجبه الأساسي هو تدوين التاريخ، لكنه يعود فيقول: إنه من الصعب أن نقرر ذلك ويضرب مثلاً لذلك فيقول: إن الوزير الجويني ألف في القرن الثالث عشر كتابه العظيم عن التاريخ، لكنه لا يستطيع القطع إن كان هذا العمل الذي قام به ذلك الوزير إشباعاً لهوايته في التأليف أم أنه قد صنفه كجزء من أعماله الرسمية.(١)

وعلي أية حال لقد شهدت المدارس التاريخية المختلفة أعداداً من المؤرخين الذين شغلوا مناصب رسمية في الدولة سواء في دمشق أو بغداد أو القاهرة أو غير ذلك من العواصم الإسلامية الأخري، فقد تولي كل من الصابي ومسكويه والصفدي والقاضي الفاضل والعماد الكاتب وابن خلكان وابن خلدون والمقريزي والعيني وأبو الفدا وغيرهم مناصب هامة في الدولة وتنوعت تلك المناصب وبالتالي تنوعت كتابهم التاريخية.

لكننا في ذات الوقت نجد من أعلام مدارسنا التاريخية رجالاً وقفوا حياتهم واهتمامهم علي الكتابة التاريخية من هؤلاء كان الطبري الذي أوقف حياته كلها علي الكتابة والتصنيف ولم يعرف عنه أنه قيد نفسه بقيود وظيفية أو حصل علي رزق من وال أو أمير أو حكومة، كذلك المؤرخ المصري ابن زولاق ذلك الرجل الذي كرس وقته وجل جهده للكتابة والتدوين والتأليف.

ومن الجدير بالملاحظة أن يفرق الباحثون بين أصناف المؤرخين علي غرار ما

---

(١) روزنتال مرجع سابق ص ٧٩.

فعل العلماء المسلمون ذلك أنهم فرقوا بين المؤرخين الثقاة الحفاظ وبين عوام المؤرخين أو اشباه المؤرخين ولعل السخاوي يؤكد هذا في كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التايخ فيقول: إنهم أي المؤرخين وضعوا من أناس أورفعوا أناساً ووضح أسباب ذلك فيما يلي:

١ ـ الجهل.

٢ ـ التعصب.

٣ ـ الاعتماد علي النقل ممن لا يوثق به.

٤ ـ غير ذلك من الأسباب.

ثم أضاف الشمس السخاوي نقلاً عن التاج السبكي أن الجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل ويقول: لا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ليس بينهما من الصداقة ما يحملة علي التعصب له ولا من العداوة ما يحمله علي الغض منه. (١)

ويقتضي البحث التاريخي أن يتخصص بعض المؤرخين فيَ التاريخ القديم ومن ثم فهؤلاء هم مؤرخو التاريخ القديم، وآخرون يهتمون بدراسة التاريخ الاسلامي فهم مؤرخو التاريخ الإسلامي أو الوسيط، وفريق ثالث هم المتخصصون في التاريخ الحديث.

وظهرت أنواع أخري من التخصصات وظهر مؤرخون جدد هم مؤرخو التاريخ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو مؤرخو التاريخ العسكري، والمهتمون بالعملة والمسكوكات إلي غير ذلك من التخصصات كتاريخ الأديان واللاهوت.

ويبدو أن المؤرخ القديم لم يشغل باله بتلك التقسيمات ومن ثم كان مؤرخاً عاماً أو مؤرخاً موسوعياً يكتب ما يراه ويسجل ما يشاهده ويأتي المؤرخ الاسلامي الذي كتب التاريخ العام والتاريخ المحلي إلي غير ذلك.

---

(١) السخاوي: الاعلان بالتوبيخ ، ص ٧٣

الشروط الواجب توفرها في المؤرخ:

يري المؤرخون المسلمون ان هناك شروطاً اساسية يجب أن تتوفر في المؤرخ يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعني والا يكون ما نقله مما أخذه من الذاكرة ثم كتبه وأن يسمي المنقول عنه.

٢ ـ أن يكون عارفاً بحال المترجم علماً وديناً وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جداً.

٣ ـ أن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ حسن التصور بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص.

٤ ـ ألا يغلبه الهوي فيخيل له هواه الأطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره.

٥ ـ أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الأنصاف.

٦ ـ التجرد

٧ ـ العلم.

وقد تحدث الصفدي في وفياته عن هذه الشروط ووضعها تحت عنوان: في أدب المؤرخ، وينسب ذلك الي العلامة حجة الاسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي. (١)

وجاء تصنيف المؤرخين المسلمين علي النحو التالي:

١ ـ مؤرخو السيرة النبوية المطهرة وقصص الأنبياء.

٢ ـ مؤرخو المعاجم وكتب الأعيان والوفيات وهؤلاء الذين اقتصروا علي فن مخصوص.

٣ ـ مؤرخون يهتمون بدولة مخصوصة.

٤ ـ مؤرخون يهتمون بالكتابة عن شخص مخصوص.

---

(١) الصفدي الوافي بالوفيات حـ ١ ص ٤٦

٥ ـ مؤرخون قصروا كتاباتهم علي أهل بلد مخصوص.

وإذا وضعنا هذه التقسيمات في إطار يشمل المؤرخين المسلمين علي اختلاف تخصصاتهم واهتمامهم : فانها سوف تتضمن التقسيمات الأربع التالية:

١ ـ كتاب التاريخ العام.

٢ ـ كتاب التراجم والطبقات والمعاجم ومنها تراجم الأدباء والوفيات والتراجم الذاتية.

٣ ـ كتاب التاريخ المحلي لبلد أو إقليم أو منطقة.

٤ ـ كتاب النظم الإسلامية.

وكتاب التاريخ العام كثيرون وهم لا يدخلون تحت حصر ومن أشهرهم الطبري وابن الأثير وابن خلدون والمقريزي وغيرهم. ومن أشهر كتاب الطبقات والتراجم نذكر ابن سعد وابن خلكان والذهبي والصفدي والفوطي وياقوت الحموي.

أما كتاب التاريخ المحلي فقد ظهر منهم ابن القلانسي وابن العديم وابن الشحنة وأبو يعلي وأبو شامة وأما كتاب التراجم الخاصة فنذكر منهم ابن زولاق وابن عبد الظاهر وابن شداد والعماد الكاتب ومن بين كتاب النظم ظهر الماوردي وأبو يعلي وابن مماتي والقلقشندي.

ويمكننا القول أن هناك أنواعاً من المؤرخين الذين تميز انتاجهم التاريخي، من ذلك مؤرخ الدولة الذي يطلب إليه أن يكتب تاريخاً رسمياً لدولة من الدول أو لحاكم من الحكام أو لأمير من الأمراء وغالباً ما تغيب الموضوعية والحيدة في كتابته، فابن الأثير صاحب كتاب الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية عمد إلي إبراز مكانة تلك الدولة وتأكيد دورها في الجهاد متجاهلاً بذلك دور صلاح الدين في مصر وربما كان ذلك ارضاء للملك القاهر أو تفادياً لإيقاع الدولة الأتابكية في الحرج.

وقد ظهر المؤرخ المحايد بين المؤرخين المسلمين فمنهم من حقق في كتاباتة

قدرا كبيرا من التجرد والموضوعية ومن أمثال هؤلاء محمد بن شهاب الزهري من رجال القرن الثاني الهجري وعبد الرحمن الجبرتي صاحب عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ولقد استطاع الجبرتي فيما دون من أخبار أن يتحري الصدق والدقة ويتوخي الحق فلم يكن يتحيز لطائفة أو لدولة أو لإنسان مهما عظم نفوذه.

obeikandl.com